القرآن الكريم أكبر معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام

د. أحمد عبد الشكور

ABSTRAK

Baik para Nabi dan Rasul-rasul Allah yang terdahulu atau pun Nabi Muhammad saw rata-rata diberikan mukjizat oleh Allah swt sebagai penguat atas kenabian dan kerasulan mereka. Diantara sekian jumlah mukjizat yang telah diberikan oleh Allah swt kepada para Nabi dan Rasul tersebut, hanya Al-Qur'an yang diturunkan kepada Nabi Muhammad saw sajalah yang terbesar dan bersifat abadi sampai hari kiamat.

Kemukjizatan Al-Qur'an tidak hanya ditinjau dari segi isi dan kandungannya, yang sangat bermanfaat bagi kesejahteraan hidup bagi seluruh manuia, baik di dunia mau pun di akherat karena fungsinya yang besar sebagai petunjuk dan hidayat bagi mereka, akan tetapi lebih dari itu, juga ditinjau dari segi bahasa dan sastra Arab yang dikandungnya, yang karena indahnya sehingga tak seorang pujangga pun dapat menandinginya.

Kenyataan ini tidak hanya diakui oleh para sarjana muslim, akan tetapi juga oleh para sarjana Barat terdiri dari orientalis yang ahli dan tersohor, yang ahli dalam bidang mereka masing-masing. Banyaklah teori-teori ilmiah yang ditemukan oleh para ahli, baik dalam bidang agama atau pun dalam masalah ilmu pengetahuan, sience dan teknologi, yang justru diilhami oleh ayat-ayat suci al-Qur'an yang dibawa oleh Nabi Muhammad yang ummi dan butahuruf itu. Kalau bukan karena Qur'an sebagai wahyu Allah kepada Muhammad, dan sekaligus sebagai mukjizat baginya maka tak mungkin kenyataan itu terjadi.

Khusus bagi bahasa dan sastra Arab, wujud Al-Qur'anul Karim ini benar-benar sangat menguntungkan, karena berkat Al-Qur'an bahasa Arab yang sengaja dipilih oleh Allah swt sebagai bahasanya itu, maka bahasa Arab tersebut menjadi bahasa yang abadi, tak pernah mengalami kepunahan sebagaimana yang diderita bahasa-bahasa lain di dunia.

Bahkan bahasa tersebut semakin berkembang dan tersebar di dunia, dimana Islam dan muslim berada. Ia kini dan seterusnya telah memasyarakat sebagai bahasa ilmiah internasional, karena ia bukan hanya sebagai bahasa untuk berkomunikasi sehari-hari akan tetapi juga dipergunakan menulis karya-karya dan buku-buku ilmiah dalam berbagai disiplin ilmu. Bahkan ia juga telah sebagai bahasa formal yang dipergunakan di PBB yaitu sebagai bahasa yang keenam setelah bahasa Inggeris, Prancis, Jerman, Spanyol, dan bahasa Cina.

١ تقديم

لاريب في أن من فضل الله سبحانه وتعالى على عبده الإنسان أنه لم يتركه ونفسه في الحياة يستهدي بما أودعه الله فيه من فطرة سليمة تقوده إلى الخير وترشده إلى البر فقط ، بل بعث إليه بين فترة و أخرى نبيا ورسولا يحمل من الله كتابا مقدسا يدعوه إلى عبادة الله وحده .

لكن النبي والرسول المذكور لم يخل عن العراقيل فضلا عن التهديدات التي توسوسه وتمنعه في إنجاح دعوته . ولذا لاشك أن يحتاج إلى معجزة تساعده في إخضاع أمته وتقليل خصوماتها نحوه..

فالنبي إبراهيم عليه السلام مثلا أعطاه الله معجزة على شكل البرودة وسط النار المتلهبة حينما عذبه "ملك نمروز" وأعوانه بسبب إفساده أصنامهم التي جعلوها آلهة لهم . قال الله تعالى : "يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم "[1] . وكذلك النبي موسى عليه السلام أيّد الله رسالته بمعجزة على شكل العصا التي تحولت حية كبرى تلقف حيات سحرة فرعون التي أصبحت تجري وراءه لتخويفه حينما قام هو بدعوتهم إلى الإيمان بالله الواحد القهار . قال الله سبحانه وتعالى :" وما تلك بيمينك يا موسى ، قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها غنمي ولي فيها مآرب أخرى ، قال ألقها ياموسى ، فألقاها فإذا هي حية تسعى ، قال خذ ها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى" [2]

وتماشيا مع ذلك أيّد الله سبحانه وتعالى نبيه ورسوله عيسى بن مريم بمعجزة على شكل استطاعته في مداواة مرض الأعمى واشفائه ، وغير ذلك .

أصبحت الإنسانية في رقيها وتطورها الفكري ، والوحي يعاودها بما يناسبها ويحل مشاكلها الوقتية في نطاق قوم كل رسول حتى اكتمل نضجها. وعلى هذا أراد الله لرسالة نبيه ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام أن تشرق على الوجود ، فبعثه على فترة من الرسل الكرام ليكمل صرح إخوانه الرسل السابقين بشريعته العامة الخالدة وبكتابه المنزل عليه وهو القرآن الكريم الذي ظل معجزة له ، بل أكبرمعجزاته صلى الله عيه وسلم .

على أن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام التي أيّدها الله بنزول القرآن الكريم لاتختص بالأمة العربية فحسب فهي ليست كرسالة كل نبي أو رسول يبعث إلى قومه خاصة

---

[1] سورة الأنبياء : 69

[2] سورة طه : 17 21

، بل كانت رسالته كافة إذ أنه بعث إلى الناس جميعا . قال الله تعالى في القرآن الكريم : "قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا [3] ، و قال أيضا: "تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا" [4] . وتقوية لذلك قال الرسول محمد عليه الصلاة والسلام : "وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة". [5]

هذا ، ولما كان النبي محمد بعث إلى الناس كافة كان معنى ذلك أنه لا يبعث للأمم التي تعيش في العصور السسابقة فحسب ، بل كان يبعث للأمم التي تعيش في العصور القادمة أيضا إلى يوم القيامة . وهذه الفكرة تتناسب مع كونه خاتم الأنبياء والمرسلين الذي دل عليه القرآن الكريم . قال الله تعالى في القرآن المجيد : "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبّيين .[6]

ب تعريف القرآن ووصفه ونزوله

إن كلمة "القرآن" مثل كلمة "قراءة" مصدر لفعل "قرأ يقرأ" بمعنى الجمع والضم ، يعني ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل. قال تعالى : إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه " [7] ، ويذكر العلماء بأنه كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، المتعبد بتلاوته . [8]

وقد سمى الله هذا القرآن ببعض الأسماء ، منها : "القرآن" ، قال تعالى : إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم . [9] ، و"الكتاب" ، قال تعالى : ولقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم [10] ، و"الذكر" قال تعالى : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون [11] ، و"التنزيل" قال تعالى :وإنه لتنزيل رب العالمين [12] ، وغير ذلك .

---

[3] انظر إلى سورة الأعراف : 158

[4] انظر إلى سورة الفرقان : 1

[5] في الصحيحين من حديث "أعطيت خمسا لم يعطهنأحد قبلي ..." وانظر مناع القطان ، *مباحث في علوم القرآن* ، بيروت : منشورات العصر الحديث ، 1972، ص . 18

[6] سورة الأحزاب : .4

[7] سورة القيامة : 17 18

[8] انظر مناع القطان ، *مباحث* ... ، ص. 20 21

[9] سورة الإسراء : 9

[10] سورة الأنبياء : 10

وبجانب ذلك ، قد وصف الله هذا القرآن أيضا بأوصاف كثيرة ، منها : "عزيز" قال تعالى : إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز [13] ، و"نور" قال تعالى : يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم و أنزلنا إليكم نورا مبينا .[14] ، و"هدى" و"شفاء" و"رحمة" و"موعظة" قال الله تعالى: يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين [15] ، و "بشرى" قال تعالى " مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين [16] ، و "مبارك " قال تعالى: وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه [17] . تلك هي بعض الأوصاف التي قدمها الله في القرآن الكريم . وكل تسمية أو وصف فهو باعتبار معنى من معاني القرآن .

وأما نزول القرآن فكان حدثا جللا يؤذن بمكانته لدى أهل السماء وأهل الأرض ، فإنزاله الأول في ليلة القدر أشعر العالم العلوي من ملائكة الله بشرف الأمة المحمدية التي أكرمها الله بهذه الرسالة الجديدة لتكون خير أمة أخرجت للناس. يقول الله سبحانه وتعالى : شهر رمضان الذ ي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان [18]. و يقول أيضا : إنا أنزلناه في ليلة القدر [19]، ويقول : إنا أنزلناه في ليلة مباركة [20] .

و نحن إذ نهتم بهذه الآيات الثلاث نرى أنه لا تعارض بينها ، فالليلة المباركة هي نفس ليلة القدر من شهر رمضان . إنما يتعارض ظاهرها مع الواقع العملي في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام حيث نزل عليه القرآن في ثلاث وعشرين سنة . [21] ، وللعلماء في هذا مذهبان:

---

[11] سورة الحجر : 9

[12] سورة الشعراء : 192

[13] سورة فصلت : 41

[14] سورة النسساء : 174

[15] سورة يونس : 57

[16] سورة البقرة : 57

[17] سورة الأنعام : 92

[18] سورة البقرة : 184

[19] سورة القدر : 1

[20] سورة الدخان : 3

[21] انظر مناع القطان ، *مباحث* .... ، ص- 101 بتصرف

المذهب الأول هوالذي قال به ابن عباس وجماعة وعليه جمهور العلماء – أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث المذكورة هو نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا تعظيما لشأنه عند ملائكته ، ثم نزل بعد ذلك منجما على رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام في ثلاث وعشرين سنة .

والمذهب الثاني هوالذي روي عن الشعبي هو عامر بن شراحيل اكبر شيوخ أبي حنيفة – أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث ابتداء نزوله على رسول الله صلعم في ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة ، ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجا ومنجماحسب الوقائع والأحداث التي حدثت مدة قرابة ثلاث وعشرين سنة . فعند هذا المذهب الثاني ليس للقرآن سوى نزول واحد هو نزوله منجما على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن هذا هوالذي جاء به القرآن ، قال الله تعالى : وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا .[22]

هذا ، والقول الراجح هو أن للقرآن تنزيلين : التنزيل الأول هو نزوله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، والتنزيل الثاني هو نزوله من السماء الدنيا إلى الرسول في الدنيا مفرقا ومتدرجا حسب الوقائع والأحداث في ثلاث وعشرين سنة إلى أن توفي الرسول عليه الصلاة والسلام .[23] .

جـ – من حكم نزول القرآن منجما

وكما سبق أن قدمناه أن القرآن الكريم نزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة ثم من بيت العزة نزل إلى النبي في الدنيا على سبيل التدريج متماشيا مع حدوث الأحداث أو الوقائع. ونحن إذا أمعنا النظر إلى نزوله إلى الرسول منجما فسوف نجد أن وراء ذلك حكما بالغة ، منها :

1 لتثبيت فؤاد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم قد وجه دعوته إلى الناس ، فوجد منهم قسوة ونفورا ، وتصدى له قوم غلاظ الأكباد وجبلوا على العناد حيث كانوا يتعرضون له بصنوف العنت والأذى ، ففي مثل هذه الحالة

---

[22] سورة الإسراء : 106

[23] انظر إلى مناع القطان ، *مباحث ...* ، ص. 103 104

لاشك أن تنزل الآية القرآنية من الله تسلية له أو حضا له أن يصبر على ما أصابه من الأذى والقسوة ،مثل قوله سبحانه وتعالى : فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا [24] ، وقوله أيضا : قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا [25] ، وقوله تعالى :فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل [26] ، وهكذا .

2 للتحدي والإعجاز ، وذلك أن المشركين الكفار تمادوا في غيهم , وكانوا يسألون أسئلة تعجيز وتحد يمتحنون بها رسول الله في رسالته ونبوته ، كما يسوقون له من ذلك كل عجيب من باطلهم كسؤالهم عن الساعة مثلا ، قال الله تعالى : يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت في السموات والأرض لاتأتيكم إلا بغتة ، يسألونك كأنك حفي عنها ، قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون [27] . وبجانب ذلك فإن هناك من لا يؤمن بأن القرآن وحي من الله بل نتيجة لفكرة محمد ، ولذا لاشك أنه يدعي النبوة كما يدعي أنه يستطيع أن يأتي بمثل القرآن ، فقال الله تعالى إجابة لذلك : وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين .[28]

3 لتيسير حفظه وفهمه ، وذلك لأن الله أنزل ذلك القرآن الكريم على أمة لا تعرف القراءة والكتابة ، ليس لها دراية بالكتابة والتدوين حتى تكتب وتدوّن ثم تحفظ وتفهم ، قال الله تعالى : هوالذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين [29] فالأمة الأمية ما كان لها أن تحفظ

---

[24] سورة الكهف : 6

[25] سورة الأنعام : 33- 34

[26] سورة الأحقاف : 35

[27] سورة الأعراف : 187

[28] سورة البقرة : 23- 24

[29] سورة الجمعة : 2

القرآن كله بيسر لو نزل جملة واحدة كما لا يتيسر لها أن تفهم معانيه وتتدبر آياته . فمن هنا كان نزوله مفرقا خير عون لها على حفظه في صدورها و فهم آياته .

4 مسايرة الحوادث والتدرج في التشريع . إن لنزول كثير من الآيات القرآنية أسبابا تتعلق بالأحداث والوقائع التي حدثت في المجتمع ، وبجانب ذلك فالأمور والمشاكل الدينية التي تقع في المجتمع الإسلامي أيضا كانت كثيرة ، كلما حللت تلك المشاكل أتت مشكلة أخرى تحتاج إلى التحليل. والمحلل الأول في مثل هذه المشكلة هو الله سبحانه وتعالى عن طريق إنزال الآية القرآنية المتعلقة بنفس المسألة ، وإلا فالنبى عليه الصلاة والسلام هوالذي أتى بحديثه أو سنته. وبقول آخر نقول إن القرآن كان ينزل وفق الحوادث التي تمر بالمسلمين في جهادهم الطويل لإعلاء كلمة الله .

ففي بداية ظهور الإسلام مثلا كان القرآن الكريم بادئ ذي بدأ يتناول أصول الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء وجنة ونار. ويقيم على ذلك الحجج والبراهين حتى يستأصل من نفوس المشركين والكفار العقائد الوثنية ويغرس فيها العقائد الإسلامية. ففي نفس الحالة نزلت الآيات القرآنية المتعلقة بها كما كان في سورة الإخلاص والزلزلة و الكافرون وما إلى ذلك .قال الله تعالى : قل هوالله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد [30] وبجانب ذلك نزلت الآية القرآنية المتعلقة بلزوم إقام الصلاة كقوله تعالى : أقيموا الصلاة [31] ، وما يتصل بوجوب إيتاء الزكاة مقارنا بالربا كقوله تعالى : فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ، وما أوتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما أوتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون [32] . وليس ذلك فحسب ، بل نزلت الآيات القرآنية في العلاقات الأسرية أيضا كبيان حقوق الزوجين وواجبات الحياة الزوجية وما يترتب على ذلك من استثمار العشرة أو انفصامها بالطلاق أو انتهائها بالموت ثم الإرث ، وما إلى ذلك .

---

[30] سورة الإخلاص : 1 4

[31] سورة النساء : 77

[32] سورة الروم : 38 39

5 الدلالة القاطعة على أن القرآن تنزيل من الله العزيز الحكيم . و ذلك أن نزول القرآن الكريم على سبيل التدريج قد سهل للإنسان القارئ أن يفهمه فهما من جميع الوجوه ، من جهة تلاوته ، ومعانيه ، ومضموناته ، وأساليبه ، وهكذا . وبقول آخر نقول إن القارئ المهتم به يجده محكم النسج ، دقيق السبك ، مترابط المعاني ، رصين الأساليب ، ومتناسق الآيات والسور ، كأنه عقد فريد نظمت حباته بما لم يعهد له مثيل في كلام البشر ،[33] ولذا لاشك أن تحدى القرآن كل من يدعي النبوة أو من يدعي أنه يستطيع أن يأتي بمثل القرآن . قال تعالى : قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا [34] ، وقال أيضا : وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلو ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودهاالناس والحجارة أعدت للكافرين [35]

نعم ، هناك بعض من يدعي النبوة وادعى أنه يستطيع أن يؤلف مثل القرآن ، وهؤلاء هم الكذابون ، إذ أنهم لم يستطيعوا ولن يستطيعوا أن يؤلفوا أو يقلدوا القرآن . فمن هؤلاء هو:

1 مسيلمة الكذاب ، وهو من بني حنيفة بيمامة ، كان هذا الرجل ماهرا ذا نفوذ كبير في المجتمع ولما كان كثير من أبناء المجتمع يميلو ن إلى محمد والدين الإسلامي الذي أتى به ، أخذ يخاف من أن يزول نفوذه كما يخاف من زوال هيبته .ولذا بدأ يعشر قومه معاشرة حسنة ليجذب قلوبهم ثم شرع يؤلف بعض المؤلفا عن الحيوان مثل الفيل والغنم والضفدع وعن النباتات ، وما إلى ذلك . ادعى المسيلمة أن هذه المؤلفات تناولها من السماء أملا في أن يقول الناس أنها وحيا من الله .

2 أبهله بن كعب ، وقد اشتهر هذا الرجل باسم أسود من قبيلة أوس .وكان شاعرا شهيرا وخطيبا مصقعا كما أنه كاهن مشهور باليمن . وقد أصبح ممقوتا في صدور الناس وعلى الأخص بعد ادعائه نبيا نزل عليه الوحي من الله . ثم قتل قبل وفاة النبي محمد عليه الصلاة والسلام بليلة واحدة .

---

[33] انظر منا ع القطان ، *مباحث* ... ، ص 107 – 116 بتصرف

[34] سورة الإسراء : 88

[35] سورة البقرة : 23 24

3 طلحة بن خويلد الأسدي . وقبل أن يعترف أنه نبي كان بطلا شجاعا . وقد زار النبي محمد في السنة التاسعة من الهجرة مع جماعة أسعد بنت خزيمة و ادعى أنه مسلم . ولكنه بعد ذلك ادعى أن جبريل أتاه بوحي من الله . ورغم أنه لم يملك الكتاب المقدس كما اعترفه هو ، غير أنه يدعي أن ما كتبه عبارة عن الوحي ، وذلك مثل ما كتب في كتاب معجم البلدان . وقد أرسل أبو بكر الصديق خالد بن الوليد لمحاربته ، ثم أسلم بعد أن فشل في انتظاره الوحي الأخير في نفس تلك الحرب ثم قتل في حرب القادسية .

4 ساجه بنت حارس بن سويد .من سلسلة بني تمين . كانت هذه المرأة نصرانية وهي ماهرة في اللغة العربية . ادعت هي أنها نبي زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه بينما كان مسيلمة الكذاب ادعى أيضا أنه نبي في نفس الوقت . ثم أخذ اعترافها النبوي غير واضح حيث يزول قليلا فقليلا وعلى الأخص بعد أن ادعت أن الوحي نزل عليها آمرا لها بأن تتزوج مع مسيلمة الكذاب . وبعد أن فشلت في نبوتها اعتنقت الإسلام وأصبحت من المسلمات المؤمنات المطيعات .

5 ابن المقفع ، وهو المؤلف الشهير ذي النفوذ الكبير لما له من المؤلفات الأدبية لات المعاني والمضمونات التي من شأنها أن تبدي الظنون عند المهتمين بها أنها كادت تساوي القرآن وعلى الأخص المكتوب في كتاب "الدرر اليتيمة" ، ذلك الكتاب الذي كتبه عمدا لأجل ذلك القصد .[36] وغيرهم .

ولكن ماذا حدث ؟ فالواقع أن ادعاءهم أنهم من الأنبياء والرسل باطل ولايروج ، إذ أن الناس لا يؤمنون بنبوتهم حتى الآن ، بل كانوا يمقتونهم كما كانوا يسّبونهم ويدخلونهم من الضالين المضللين . ومن هنا نفهم أن هؤلاء كانوا يعجزون ولا يستطيعون أن يقلدوا القرآن في أساليبه ولا في مضموناته ومعانيه رغم أن كانوا من الأدباء والبلغاء ، وذلك كله دليل ساطع على أن القرآن معجزة كبيرة أبدية إلى يوم القيامة ، إن شاء الله .

ومن هنا أيضا، لا ريب في قولنا إنما القرآن العزيز تنزيل من الله السميع العليم إلى نبيه ورسوله الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام ليكون هدى ورحمة للعالمين ، فليس هو كلام الرسو ل محمد ولا تأليفه كما يدعيه أعداء الإسلام ، بل هو أكبر معجزاته و أخلدها .

---

[36] انظر إلى أبي بكر آتشيه ، Sejarah Al-Qur'an ، صولو : مطبعة رمضاني ، الطبع السادس ، 1989، ص – 57 – 60 بتصرف

- **أثر القرآن في اللغة العربية وتطوير العلوم الحديثة**

جاء الإسلام ومعه القرآن وهو كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، وكان لهذا القرآن أثر بيّن في توحيد اللهجات أو اللغات العربية ونشرها وترقيتها من حيث أغراضها وألفاظها وأساليبها ومعانيها ، كما أثر فيها ما لم يؤثره أي كتاب ، سماويا كان أو غير سماوي في اللغة التي كان بها ، إذ ضمن لها الله حياة طيبة وعمرا طويلا وحفظها وصانها من كل ما يشوه خلقها ويذبل نضارتها ، فأصبحت هي اللغة الحية في العالم من بين اللغات القديمة التي انطمست أثارها ، وصارت في عداد اللغات التاريخية الأثرية .

وبعبارة أخرى نقول إن هذه اللغه ستكون باقية دائمة إلى الأبد لكونها لغة للقرآن الكريم وهوالكتاب الوحيد المقدس الذي حفظه الرحمن وأبقاه إلى يوم القيامة لقوله سبحانه وتعالى : : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون [37] وإذا كان المسلمون منتشرين في سائر العالم لانتشار الإسلام فيه ، فسوف تنتشر هذه اللغة العربية أيضا في ذلك العالم ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا , حيث ينتشر فيه ذلك الدين الإسلامي ، إذ أن المسلمين الأتقياء المطيعين كانوا يتلونها آناء الليل وأطراف النهار ، وعلى الأقل عند أدائهم الصلوات المفروضة في مثل تلاوة سورة الفاتحة والتحيات فضلا عن الأدعية التي اشتملت عليها . على أن اللغة العربية هذه لا تتلى عند الصلاة فقط بل المسلمون كانوا يدرسونها لتسهيلهم في فهم الكتب العربية على كثرة أنواعها وشتى العلوم التي كتبت وبحثت بها .فهي إذن- عبارة عن المفتاح للعلوم والمعارف سواء أكانت إسلامية أم غير إسلامية

و غني عن البيان أن هذا القرآن قد أحدث في اللغة العربية علوما جمة وفنونا شتى ، ولولاه لم تخطر على قلب ولم يخطها قلم . فمن تلك العلوم هي العلوم النحوية والصرفية ، والعلوم البلاغية من المعاني ، والبيان ، والبديع ،والأدب ، وما إلى ذلك من العلوم الإسلامية مثل التفسير ، والحديث ، والفقه ، وأصول الفقه ، والعقائد، وغيرها. كلها مكتوبة باللغة العربية أصلا .

---

[37] سورة الحجر : 9

على أن الكتب التي كتبت باللغة العربية ليست تلك الكتب المعروفة بالعلوم الإسلامية فقط بل هي تستعمل كذلك لكتابة العلوم الكونية والمنقولة على وفرة انواعها مثل العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية والإلهية وما وراء الطبيعة وغيرها .

ولذا لاشك أن أصبحت هذه اللغة العربية لغة علمية عالمية حيث كانت تستعمل في إنجاح الدراسة والتدريس في شتى المواد الدراسية ، كما تستعمل لكتابة المجلات و الجرائد فضلا عن أنها تقرر رسميا كإحدى اللغات المستعملة للمشاورة والمناقشة والمناظرة في هيئة الأمم المتحدة منذ سنة 1973 تقريبا – كاللغة السادسة . ومن هنا أصبح كثير من المهتمين بها يدرسون هذه اللغة دراسة لعلهم يقدرون بها فهم الكتب العربية المختلفة على كثرة موضوعاتها . وكان الدارسون لهذه اللغة ليسوا من العرب والعجم المسلمين والمسلمات فحسب بل كانوا من المستشرقين الكفار كذلك . وقد تباروا هؤلاء المهتمون بها في البحث عن أحدث الطرق لدراستها وتدريسها حتى يتيسر لهؤلاء الدارسين أن يحصلوا على استيلائها والتعمق فيها في أقرب فرصة .

هـ – تطوير العلوم الكونية من بعض تعاليم القرآن

ظلت العلوم تنقسم إلى قسمين هما العلوم الإسلامية والعلوم الكونية أو المنقولة .فالعلوم الإسلامية هي العلوم التي كانت منابعها تعاليم الإسلام وعلى الأخص القرآن والحديث ، وأما العلوم الكونية أو المنقولة فهي العلوم التي كانت منابعها غير تعاليم الإسلام . وتلك العلوم علىكثرة أنواعها يحتاج إليها الإسلام لما فيها من المنافع لسعادة الأمة في دنياهم وأخراهم .

وتماشيا مع ذلك نرى القرآن وكثيرا من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام تحض الأمة على التفكير واستعمال العقل عن طريق القراءة والنظر إلى العالم المتكون من السماء والأرض والجبال والحيوانات والنباتات والفلك التجري في البحر وما إلى ذلك . وهذه الحالة لاشك بجانب اهتمامه بتنفيذ التعاليم الدينية من العقائد والعبادة والمعاملة والأخلاق .

فاهتمامه بالأمور الدينية وتعاليمها ظاهرة واضحة مثل الأمر بالصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج وغيرها من الأمور العبودية . وكذلك ما يتعلق بالعقيدة مثل لزوم الإيمان بالله

الواحد القهار وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر فضلا عما يتعلق بالمعاملة والأخلاق.

وأما اهتمامه بالأمور الكونية فظاهر واضح أيضا ولاسيما إذا كنا نوصّله بالآيات الكونية التي ذكرت كثيرا في القرآن الكريم . فمن هنا لنا أن نقول إن القرآن العزيز منبع من منابع العلوم والإلهام لتطوير تلك العلوم على اختلاف أنواعها. وهذه الفكرة مفهومة ولاسيما إذا كنا نقرأ بعض صفحات القرآن نفسه التي ذكرت فيها كثيرة من الآيات المتعلقة بالأمور العلمية . وذلك مثل الأمر بالقراءة مثلا كقوله تعالى في سورة العلق : اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم[38] فهذه الآية الكريمة لاتختص بأمر القراءة فحسب بل في نفس الحالة هي تتعلق أيضا بأمر لزوم التربية والتعليم عند المسلمين ، تلك التربية التي تسبب زوال الجهالة والحصول على العلم والمعرفة . على أن وجود اهتمام الإسلام الكبير بالعلم وأصحابه المؤمنين ظاهر ساطع ، وذلك بنزول قوله تعالى : يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات[39].

ونتيجة من وجود اهتمام الإسلام عن طريق القرآن وحديث الرسول بلزوم استعمال العقل والتفكير فضلا عن اهتمامه بالسعي والعمل الذي يلزم على الامة القيام به فلا ريب إذا كثر عدد العلماء والخبراء المسلمين الذين تعمقوا في العلوم المختلفة ، لافي العلوم الإسلامية فقط بل في العلوم الكونية كذلك في مثل العلوم الفلسفية أو العلوم الرياضية أو العلوم الطبيعية أو العلوم الإلهية وما إلى ذلك . ومن العلماء المذكورين أبو بكر الرازي وهو الخبير في علم الطب والمشهور باوربا باسم رازس ، وقد قال مكس مايرهوف (Max Meyerhof) "إن الرازي أكبر الخبراء في العلوم الطبية ، وهو أحد تلاميذ حنين بن إسحاق وهو الخبير في علم الطب اليوناني والفرس والهند" ، وقد ألف هذا الخبير 200 كتاب وزائد ، أكبرها كتاب الطب المعروف باسم " الحاوي " المتكون من 20 مجلد وهو الكتاب الشهير بأوربا كأحد المراجع للبحوث العلمية في علم الطب . ومن العلماء الآخرين نذكر بعضهم : الخوارزم وهو الخبير في علم الحساب ومؤلف كتاب "الجبر " ، وان

---

[38] سورة العلق : 1- 5

[39] سورة ا ادلة : 11

البيطار الذي اشتهر في علم الكيمياء ، وبن خلدون الشهير في علم الإجتماع والإقتصاد ، وغيرهم .

وجدير بالذكر أن من الآيات القرآنية الدالة على البحوث في الأمورالكونية مثل قوله تعالى في الشمس التي تجري لمستقر لها ، وفي كون الأرض التي تدور حول الشمس حتى تحدث اختلاف الليل والنهار ، وفي كون الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وفي كون الأمطار التي أنزلها الله من السماء فأحيا بها الأرض بعد موتها ، وفي كون النحل التي يخرج من بطنها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، وما إلى ذلك . يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن العظيم: والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم [40] ، ويقول في آية أخرى : إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون [41]. وبجانب ذلك يقول الله عز وجل : عن النحل : يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس [42] كما قال عن الأرض التي تدور حول الشمس : وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، وغيرها من الآيات الدالة على الأمور العلمية .

هذا ، فإن كان هناك أحد عالم يودالقيام بالبحث في تلك الآيات الكريمة بحثا عميقا مثلا لما كان يستطيع أن ينهي بحثه عنها ، ولاسيما عن الآيات القرآنية جميعا ، رغم أنه يستعمل جميع مياه البحر كالحبر فضلا عن سائر الأشجار كالقلم لإنجاح كتابته وبحثه. يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الكهف تحديا لهؤلاء المتكبرين المعاندين: قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا . [43] ، وفي سورة أخرى يقول الله عز وجل: ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ، ما نفدت كلمات الله ، إن الله عزيز حكيم .[44] فتلك الآيات الكريمة المذكورة قد شجعت كثيرا من المسلمين المهتمين بها في القيام بالبحث والتنقيب فضلا عن

---

[40] سورة يس : 38

[41] سورة البقرة : 164

[42] سورة النحل : 69

[43] سورة الكهف : 109

[44] سورة لقمان : 27

التصنيف والتأليف في شتى العلوم والمعارف . رغم أن كانوا ضعفاء لا يستطيعون القيام بأعمالهم حق القيام لقلة علومهم بالنسبة لعلوم الله سبحانه وتعالى . وهذا مفهوم لآن العلوم التي وهبها الله للإنسان كانت قليلة ومحدودة ، كما صرحه سبحانه وتعالى حينما يقول : "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" [45]

كل هذا وذاك ليس إلا دليل ساطع على اعجاز القرآن الكريم ، الذي أصبح أكبر المعجزات التي أيد الله بها أنبياءه ورسله , وعلى الأخص نبي الله ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام

- خلاصة البحث والإختتام

قبل أن نختم هذا البحث الوجيز نطيب لنا أن نأتي بالخلاصة كما يأتي :

1. إن القرآن الكريم معجزة من معجزات الرسول عليه الصلاة و السلام , بل هو أكبر معجزاته وأدومها ، إذ ضمن الله له البقاء عن طريق حفظه كما صرحه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم :" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "
2. أصبحت اللغة العربية التي اختيرت لغة للقرآن الكريم باقية ةمحفوظة إلى الأبد متماشية مع القرآن الذي حفظه الله تعالى إلى يوم القيامة , وبجانب ذلك سوف تنتشر هذه العربية أيضا بانتشار الإسلام والقرآن الكريم . لإأينما وجد الإسلام والقرآن وجدت اللغة العربية ، وهذا مفهوم لأن المسلمين استعملوها في صلاتهم وأدعيتهم أينما كانوا.
3. وقد أسهم القرآن في تطوير النظريةالعلمية لما في كثير من آياته الكونية قد قدم كثيرا من القيم العلمية التي لم يعلمها العلماء من قبل مثل كون الشمس التي تجري لمستقر لها ، وكون الأرض التي تدور حول الشمس حتى يحدث الليل والنهار ، ومثل خروج الشراب من بطن النحل على شكل العسل الذي يفيد فائدة حسنة للناس لكونه دواء ناجعا وشرابا لذيذا لهم ، وما إلى ذلك

---

[45] سورة الإسراء : 85

DAFTAR PUSTAKA

Al-Qur'an al-Karim

مناع القطان ، *مباحث في علوم القرآن* ، بيروت : منشورات العصر الحديث ، 1972.

أبي بكر آتشيه ، Sejarah Al-Qur'an ، صولو : مطبعة رمضاني ، الطبع السادس ، 1989.

أحمد عبد الشكور ,هو المدرس بكلية الآداب بجامعة سونن كاليجاغا الإسلامية يوغياكرتا ، إندونيسيا